إسرائيل تعزز مصالحها في شرق إفريقيا!

09-5-2003

لم يكن بوسع الكثيرين التنبؤ بآفاق تطورات تلك الصلات السياسية والأمنية مدعومة بالروابط التجارية والاستثمارية، لم يكن بمقدور بلدان شرق افريقيا توفير النفط والحبوب التي كان الكيان الإسرائيلي بأمس الحاجة لها خلال بداياته، لكن "صعودها" قوى المصالح المتزايدة بالأغذية والمنسوجات وحتى السياحة الافريقية.

إن الصلات بين الكيان الإسرائيلي وشرق إفريقيا التي بدأت في أروقة الأمم المتحدة في إطار بحث الدبلوماسيين الإسرائيليين عن أصوات تدعم مواقفهم تطورت إلى علاقة قوية مع المنطقة تعززها التجارة والمساعدات التقنية بين البلدان التي عاشت فترة تشويش كبيرة خلال الخمسين سنة الماضية. وتعود جذور هذه العلاقة إلى أواخر الخمسينيات، عندما استمالت اسرائيل دعم بلدان شرق افريقيا في محاولة لموازنة تكتل أصوات البلدان العربية في المنظمات الدولية، وكان أيضا من الواضح أن بلدانا مثل اثيوبيا يمكن أن تقدم لإسرائيل مواقع مفيدة لمراقبة العالم العربي. لكن في ذلك الحين لم يكن بوسع الكثيرين التنبؤ بآفاق تطورات تلك الصلات السياسية والأمنية مدعومة بالروابط التجارية والاستثمارية على الطراز القديم، لم يكن بمقدور بلدان شرق افريقيا توفير النفط والحبوب التي كان الكيان الإسرائيلي بأمس الحاجة لها خلال بداياته، لكن "صعودها" قوى المصالح المتزايدة بالأغذية والمنسوجات وحتى السياحة الافريقية.

وتعد صيانة الموارد المائية غاية قصوى في اسرائيل، والتجارة مع افريقيا توفر وسائل لاستيراد "مياه افتراضية": فبشراء المحاصيل والمواشي (التي يحتاج انتاجها إلى كميات كبيرة من الماء) من اريتريا وكينيا، تستطيع تقليل حاجتها للري وتسخير مياهها الجوفية لتوفير مياه الشرب والخدمات العامة. ولدى اسرائيل "خدمات" كثيرة تقدمها لشركائها الأفارقة، فعلى سبيل المثال هناك التدريب العسكري والأمني الذي يترافق مع صفقات بيع أو تحديث المعدات العسكرية مما يضمن التطور السريع للتكنولوجيا العسكرية الاسرائيلية، وجود سيل لا ينقطع من التجهيزات الفائضة عن الحاجة الجاهزة للبيع إلى البلدان الافريقية بأسعار منافسة. وتستطيع الشركات الإسرائيلية أيضا توريد الكمبيوترات وتقنيات الاتصالات الرخيصة نسبيا إلى البلدان النامية، إلى جانب تقديم الدعم التقني الضروري للاستفادة من هذه التقنيات ويوما بعد يوم تزداد اهمية مثل هذه الروابط غير العسكرية.

ومن المؤكد أن صلات اسرائيل بكينيا - التي تعود جذورها إلى الروابط القوية بين الزعماء الصهاينة الأوائل، وأول طاقم سياسي كيني بعد الإستقلال- ينظر إليها عادة بمنظور أمني. فكينيا منحت اسرائيل التمركز في أراضيها لشن عملية انقاذ رهائن عفيتبي في أوغندا عام 1967، في حين أن مسئولي الاستخبارات وفرق الإنقاذ الطبي الاسرائيلية سارعت إلى مساعدة الحكومة الكينية بعد هجمات عام 1998 على السفارة الاميركية في نيروبي. في عهد قريب ساعد خبراء اسرائيليون في تشديد الاجراءات الأمنية في المطارات الكينية بعد محاولة في نوفمبر الماضي لإسقاط طائرة اسرائيلية مدنية أثناء اقلاعها من مومباسا. وثمة روابط وثيقة أخرى بين الشركات الاسرائيلية والجاليات اليهودية في مومباسا ونيروبي، وهو ما أدى إلى بناء سوق قوية للكاكاو والقهوة والمطاط والأغذية من افريقيا إلى اسرائيل.

وتتمتع اسرائيل بروابط تاريخية ومعاصرة مع اثيوبيا التي لا تزال تعيش فيها جالية يهودية يقدر عددها بـ 23 ألف شخص حتى بعد إجلاء اليهود الاثيوبيين إلى اسرائيل ما بين 1984 و 1991 وتظل الروابط بين تل ابيب واثيوبيا التي يغلب عليها الطابع الأمني نظراً لمخاوفهما المشتركة من تنامي الجماعات الاسلامية المسلحة في السودان المجاورة وبين الفصائل المتناحرة في الصومال.

وخلال ثلاثة عقود من الاضطرابات في اثيوبيا لم تنقطع المساعدات العسكرية من اسرائيل والبعثات العسكرية الاسرائيلية في أديس ابابا كانت دائما الثانية في الحجم بعد البعثة الأمريكية أو السوفييتية ولم تقدم تل أبيب التجهيزات العسكرية الفائضة وحسب، بل أيضا برامج تحديث زهيدة التكلفة للأسلحة من الحقبة السوفييتية مثل مقاتلات «ميغ - 21» التي يستخدمها سلاح الجو الاثيوبي، وربما كان أأهم من ذلك قيام المستشارين الإسرائيليين بمساعدة الضباط الاثيوبيين للتغلب على الخصومات القبلية لترسيخ وئام تام بمساعدة رجالها المجندين. وشهدت الصادرات الاثيوبية إلى اسرائيل نمواً بمعدل تجاوز 200 بالمئة سنويا على مدار معظم سنوات التسعينيات، لكن ما يوطد العلاقات الثنائية الآن هي الروابط الاستثمارية، وقد وضعت اديس اباب سلسلة من المحفزات لاجتذاب الاستثمارات الاسرائيلية إلى قطاعات غير الصناعة والزراعة، مثل التعليم والتخطيط المدني اللذين يلعبان دورا أساسيا في التنمية بعيدة الأمد.

ونظرا لأن اريتريا خاضت حربا منهكة مع اثيوبيا حتى عندما كانت اسرائيل تطور علاقات وثيقة مع اثيوبيا، فإنه ربما يكون من المفاجئ أن اسرائيل تحظى الآن في اسمرة بنفس الترحيب تقريبا الذي تحظى به في اديس أبابا لكن في الواقع، إن اسرائيل أمدت كلا الجانبين خلال الحرب، حيث كانت تعطي اريتيريا بعض المعونات الفائضة وتقدم لها المساعدة في سلاحها الجوي مقابل ذلك، احتفظت اسرائيل بوجود عسكري منخفض المستوى يتضمن محطة لتزويد الغواصات بالوقود على جزر داهلاك قبالة الساحل الاريتيري ومحطات لمراقبة الاشارات على الجزيرة وفي أجزاء أخرى من البلد.

لكن علاقة اسرائيل بأريتريا المبنية على الروابط الاقتصادية أوثق من علاقتها بكينيا واثيوبيا، بدأت هذه الروابط من مشاريع ثنائية متفرقة في مجالات ملائمة مثل المسح الجوي، والتنقيب عن الآثار وامتيازات صيد السمك، لكن يتم الآن الإعداد لمشاريع على مستوى أكبر وفي يناير الماضي، وقع البلدان على اتفاقية للنقل الجوي المدني، تنص على انطلاق رحلات مباشرة بين تل ابيب والمطار الجديد الذي لا يزال قيد البناء في مساوا، ويأمل الرئيس الاريتري اسياسي أفورقي باستقطاب الدعم الاسرائيلي لبرنامج على مدى 20 عاما لتنمية صناعة السياحة في بلده.